مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 1 السنة: 2021
ص: 300 - 321 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

جدليّة الهُوِيَّة/ الاغتراب في الشعر الجزائري الثمانيني– نماذج مختارة–

identity Controversy / Alienation in the Algerian poetry of the eighties, selected models

ط. د عبد الغاني ناصري [1]*، أ. د. ليلى جودي [2]

Abdelghani Nasri[1], Leila Djoudi[2]

[1]جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله2- الجزائر، University of Algers 2- Algeria

مخبر الخطاب الصوفي للغة والأدب

[2]جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله2- الجزائر ، University of Algers 2- Algeria

nani.nasri34@gmail.com[1]

leiladjoudi@windowslive.com[2]

تاريخ الإرسال: 2020/04/20	تاريخ القبول:2020/06/10	تاريخ النشر: 2021/03/30

مُلخّص البحث

تَرْنُو الدِراسَة الموسومة« جدليّة الهُوِيَّة/ الاغتراب في الشعر الجزائري الثمانيني– نماذج مختارة–» إلى تَلَمُّسِ واكتِشَافِ ما يعتمل تحت جِلد النصِّ الشِعْريّ الجماليّ من خلفيات أيديولوجيّة وسياسيّة واجتماعيّة..، والتَغلْغُل في الأنساق الثقافيّة المضْمَرَة وتَشَكُّلاتها عبر بعض الدَّواوين الشعريَّة الجزائريَّة في فترة الثمانينيَّات، والتي بدورها أسَّست نصًّا شعريًّا انفتح على لغةٍ شعريَّة راقية، ورؤيةٍ عميقة، ومضامين تشمل مختلف القضايا الإنسانيّة المعاصرة، إذ تطفو لدى المتفحص في أشعارهم مضامين الهُوِيَّة بمختلف تجلِيَّاتِهَا الظاهرة والمضمرة. وبمقابلها تتشكَّل ظاهرة الاغتراب بضياع الهدف والهويَّة وانشطار الذَّات وانغلاقها واحساسها بالوحشة المكانيَّة والزمانيَّة..، لتبحث بعدها عن فضاء تأوِي إليه كمتنفس لتطليقِ اغترابها، وفي ضوء هذه الرؤية تتحدَّدُ الدِّراسَة التي تتوسَّل في انتهاج إجراءات النقد الثقافي لمعالجة القَضيَّتينِ المِحْوريَّتين:(الهويَّة / الاغتراب).

الكلمات المفتاح: الهوية– اغتراب – الشعر الجزائري – أنساق مضمرة.

Abstract:

The study aims at «controversial identity / Alienation in the Algerian poetry of the eighties, selected models »to discover and touch what is under the skin of the aesthetic poetic text as ideological, political and social backgrounds. And penetration into the implicit cultural systems and

* عبد الغاني ناصري. nani.nasri34@gmail.com

their forms through the Algerian poetry collections during the eighties, which in turn established for itself a poetic text that opened up to fine poetic language and a deep vision and contents that include various contemporary human issues. As it floated to us as we examined their poems, the contents of identity in its various manifestations, apparent and implicit... In return, the phenomenon of alienation is formed through the loss of purpose, identity, the fragmentation of the self, its closure, and its sense of spatial and temporal loneliness... Then, to search for a space that houses him as a breather to divorce her expatriation, and in light of this vision, our study is determined to pursue cultural criticism procedures to address the two central issues: (identity / alienation).

Keywords: Identity - Alienation - Algerian poetry - Implicit patterns

مقدمة:

إن ما يميز النص الأدبي زئبقيته، من حيث هو مجرة من المدلولات الظاهرة والمضمرة التي تسبح في فضاء دلالي مكثف بالإيحاءات والدلالات، فهو ليس مجرد قالب لغوي فحسب، وإنما هو دلالات وانحرافات عن المعاني الظاهرة البينة المعهودة التي لا يمكن حصر نتاجها الدلالي في رؤية معينة، وتبعا لذلك تباينت زوايا النظر للنص الأدبي، والشعري على وجه الخصوص، متجاوزة الرؤية السطحية التي تقف عند حد الأنساق البلاغية والجمالية التي تحيده عن مضمرات قابعة في عمق النص، وأنساق خفية مركزية في تكوين الخطاب المنفتح على العديد من قضايا فلسفة الحياة والوجود وصراعات الفرد وعلاقاته بالجماعة – الوعي الفردي والوعي الجمعي- ومختلف الجوانب الإنسانية والثقافية والاجتماعية والسياسية ..

في ضوء هذه الرؤية، تتأسس عنايتنا بموضوع:« **جدلية الهوية / الاغتراب في الشعر الجزائري الثمانيني – نماذج مختارة–**» كون السمة البارزة في النص المختلف* هي اللغة الشعرية المتفردة في معالجة الذات لمختلف قضايا الانسان والوجود وعلاقات الفرد وتعاطيه معها، وانتهاج الأدب كمرآة ووسيلة للتعبير عن مقتضيات العصر والمجتمع بمختلف تشابكاته وصراعاته، ومن هذه الزاوية تبلورت لدينا فكرة التعمق في التصور الثقافي، واستخراج تشكلات الهوية والاغتراب، خاصة وأن موضوع الهوية اكتسى أهمية بالغة وفضاء خصبا، وغدا من المواضيع الهامة التي أثارت الفضول والاهتمام من طرف المفكرين، ورواد الدرس الفلسفي المقارن (الحديث والمعاصر)**، فأخذ مساحة واسعة في مجالات البحث في العلوم الاجتماعية والسياسية

والاقتصادية والثقافية، فلا وجود لفرد أو جماعة دون وجود هوية تحدد حضورهم وانتمائهم، وفي المقابل يتشكل الاغتراب كظاهرة تتحرك بالتوازي مع مفهوم الهوية التي تطرح علاقات جدلية ثقافية ووجودية.

تسعى هذه الدراسة التطبيقية التركيز على اشتغالات ثنائيتي الهوية/الاغتراب، وكيفية تكوين وتشكل كل منهما في النتاج الشعري الجزائري عند أربعة شعراء من جيل مرحلة الاختلاف، وهم: "**الأخضر فلوس**" و"**عثمان لوصيف**" و"**مشري بن خليفة**" و"**علي ملاحي**"، حيث يقوم الاختيار هنا على تجلي هذه الظاهرة بقوة في نتاجاتهم، بالاعتماد على مقولات النقد الثقافي، وخطة بحث تتحدد في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ماهي أبرز تشكلات الهوية عند شعراء فترة الثمانينيات؟ وكيف تمثلت في شعرهم ظاهرة الاغتراب؟ وماهي الفضاءات التي يلجأ إليها الشاعر لمواجهة وتجاوز الاغتراب؟

أولا: تمثلات الهوية في الشعر الجزائري الثمانيني:

تعد ظاهرة الهوية من الظواهر المطروقة في العديد من ميادين العلوم الانسانية (الفلسفة– علم الاجتماع– علم النفس – الأدب) والتي لاتحد بمفهوم واحد، فهي« خليط من خلفيات معرفية شتى يعززها الوعي، والانتماء»[1]، وعي الإنسان وشعوره واحساسه «بذاته وانتمائه إلى جماعة بشرية قومية أو دينية، مجتمعا أو أمة أو طائفة أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام»[2]، ويفضي هذا التشظي والتعدد الابحار في عدة هويات منها – على سبيل المثال لا الحصر– الهوية الوطنية والدينية والثقافية وغيرها[3].

يشترط "**ألكس ميوتشيللي**" "**Alex Mucchielli**" أحد أبرز متخصصي هذه الظاهرة أن الشعور بالهوية يتحدد بالشعور بالكيان المادي– الفضاء– وبالانتماء ويقابله قضية بالالتزام، وبالتناسق والمقصود منها العلاقة الاعتباطية بين الذات والمجتمع، وباستمرارية الزمن الذي يرتبط بعمق التجربة التاريخية، بالاختلاف أو الفرادة ، بالقيمة النوعية، وبالاستقلال الذاتي، بالثقة، وبالوجود[4]، وما يجب الإشارة إليه أن هذه الهويات تقبع في الأدب، وتتجسد في هوية الفرد — الذات– وعلاقتها بالوطن والدين واللغة والثقافة، وكذا الخصائص المشتركة التي تربط جماعة ما، وكل مكون من هذه المكونات ينفتح على مضامين تدخل في صميم تكوين أحد الروافد.

1–الهوية الوطنية (National identity):

أ– ثقافات المدن الجزائرية وروح الانتماء:

توظيف بعض الشعراء الجزائريين للمدن الجزائرية أبان عن نسقين، أولهما: ظاهر وصف من خلاله الطبيعة ومميزات كل منطقة، وثانيهما: مضمر والغرض منه إبراز التعددية الثقافية، وهنا تأكيد غير مباشر على ثقافة وهوية وخصوصية كل منطقة، وهي صورة تعكس ثقافة الجزائر المتنوعة، وسنقوم بعرض نماذج للمدن الجزائرية عند شعراء النص الثمانيني، وتحديد مميزات كل منطقة لديهم.

–مدينة تيزي وزو :

يتغنى الشاعر "**عثمان لوصيف**" بـ"**تيزي وزو**" وشموخ جبالها ويصف لنا الحياة التي يعيشها الفرد، ويبرز لنا من خلال نصه الشعري هوية الفرد الأمازيغي الذي تحكمه ثقافة معينة وحياة متفردة من خلال جنيه الزيتون في القمم الشاهقات، وتغنيه بصفاء زيت الزيتون وطهره فيشبهه بماء زمزم النقي العذب الطاهر، ويتغلغل مستفيضا في استحضار السمات الثقافية ليوم العيد في مدينة "**تيزي وزو**" إذ يقول:

يَا– يَومَ عِيدٌ
تَخرجُ الفَتَيَاتُ يَحْمِلنَ الجِرَارَ
إِلى اليَنَابِيعِ السَخِيَّةِ [5]

إذ يؤكد الشاعر في هذه الأسطر عن الهوية الاجتماعية« والثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها، والذين تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم»[6]، المتمثلة في عادات وتقاليد بادية "**تيزي وزو**"، حين تخرج الفتيات التي تحملن الجرار، وتذهبن نحو الينابيع السخية لتجلبن الماء، فتتسلل أشعة الشمس ملامسة شَعرهن، فوصفهن الشاعر بالياقوت.

– مدينة الجلفة:

تعرف "**الجلفة**" بالأصالة والتراث، فهي خصوصية ثقافية وهوية يتصف بها أهل البدو من سخاء وكرم، فهم ناس الحلفاء والشيح والطبيعة البدوية الرعوية في «بقعة جغرافية واحدة متشابهة من حيث التضاريس»[7]، تؤكد الحياة البسيطة والأصيلة والطبيعة الفسيحة لجماعة تشترك في سمات ثقافية تحدد هويتهم.

ويمثل "**عثمان لوصيف**" سمات المرأة السمراء الهلالية من بني نايل ذات الوشم والخلاخيل، بقوله:

لِلهِلَالِيَّاتِ سُمْرًا مِنْ بَنِي نَائِلٍ
لِلْخَلَاخِيلِ [8]

فُتِنَ الشاعر بجمالِ المرأة النائلية ذات العيون السوداء البارزة النجلاء، ما أكد انتمائهِ ومكوثهِ في هذه المنطقة وانصهارهِ داخل المجتمع الجلفاوي، الذي تتصفُ نساؤُهُ بجمالِ المرأة العربية الأصيلة من خلال مجموعة السمات المتقاربة، ليضيف وصفا آخر للمرأة النائليةِ ذات البخوراتِ وريحِ الجنِ وماردة "**الجلفة**"، فيقول:

آهٍ يا ذاتَ البُخُورَاتِ
وَرِيحِ الجِنِّ
يَا مَارِدَةَ الجَلفَة [9]

آسرته المرأة النائلية هنا وكأن لها قوى خفية تستحضر الجن عن طريق وضع الطقوس، فهو يذوب ويطلب الرفق بقلبه الذي ما عاد يحتمل، وذاته التي عشقت البنت العذراء الطاهرة من أولاد نائل، أين عزفت على أوتار الهوى، فكان الألم يلامس قلبه الرقيق، فالشاعر "**عثمان لوصيف**" لم يترك شيئا عن المرأة إلا وعرج عليه من جمال العين والحاجب ولون بشرتها السمراء ذات الأصل العربي، فهو العاشق المتمرد لبنت الندى البدوية، صاحبة الشعر المضفور في الخيمة العرباءْ.

كل هذه الصفات تتسم بها المرأة العربية عموما، والصحراوية والجلفاوية على وجه الخصوص، فهي هوية ثقافية أكدتها تضاريس البيئة، وميزات المرأة النائلية، وحتى الرجل باللحية البيضاء والثوب الحريري المخطط يفضي بنا التفكير مباشرة في الرجل من منطقة الجلفة، وهنا تأكيد للأصالة والتجذر، والحفاظ على تراث الأجداد، وتعد بحق هوية وانتماء ثقافي عكسه الشاعر، وأراد تحقيقه في ذهن المتلقي الذي يغوص لبنيته المضمرة والعميقة.

– مدينة وهران:

إن تعلق "**عثمان لوصيف**" بوهران بارز في نصوصه الشعرية، إذ يفتن بها ويتغنى بجمالها وسحرها، إذ يقول:

كُلّ الشِعَابِ تُؤَدِي إِلَى مَكَّةَ –
النَّاسُ فِي كُلِّ عَامٍ يَحُجُون.. يَعْتَمِرُون
ولَكِنَنِي أَنَا وَحْدِي حَجَجْتُ إِلَيْك
وقَبَّلْتُ رُكْنَكِ.. خَضَّبْتُهُ بِالدُمُوعِ.
فَلَا تَنْكُرْي تَوبَتِي وارْحَمِي
آهٍ! لَبَيك.. لَبَيك [10]

يبث الشاعر تعلقه ويزرع صوفيته في مدينة "وهران" التي عشقها، فهو المتيم الولهان لها، وبالرغم من انتمائه للبيئة الصحراوية، وتغنيه بجمالها وسحرها وذكر أمجادها إلا أن عشق "**وهران**" كان أقوى من النخلة والواحة، وأقوى من حبه "**نجد**" و"**بابل**" و"**مصر**" و"**الشام**".

–مدينة بسكرة:

اختزل الشاعر "**عثمان لوصيف**" مدينة "**بسكرة**" في منطقة "**طولقة**"، وهي مسقط رأسه، ويصفها بأهم الأوصاف التي تتسم بها المنطقة، فيقول:

النَخِيلُ هُنَا كَالعَرَائِس فِي عِيدِهَا الذَهَبِي
والعَرَاجِينُ مِثل الثُرَيَّاتِ أَو كَالحُلَي [11]

يتغنى الشاعر بالنخيل والتمور، ويصف لنا بداية فصل الخريف حيث تتدلى فيها عراجين التمور العسلية التي شبهها بالحلي والثريات، وأطلق عليها بالعيد الذهبي، وهنا ميزة ثقافية لمدينة طولقة في انتاج أجود أنواع التمور العالمية ذات النوعية الرفيعة. ورمز "**النخلة**" كثر توظيفه من طرف الشعراء المعاصرين، فهي تعكس التجذر والأصالة بالنسبة للفرد الذي يعيش في البيئة الصحراوية.

–مدينة باتنة:

يفتخر "**عثمان لوصيف**" بباتنة وجبالها، التي خلدت تاريخا مجيدا إبان الثورة التحريرية، فأمجادها نُحِتَتْ في الصخر، والشاعر يعرب عن دور ومكانة جبال الأوراس في تفجير الثورة، ونجد هذا الرمز قد وظف من طرف العديد من الشعراء العرب، فهو رمز التحدي والصمود والوقوف في وجه المستعمر الغاشم، والطاغوت الكافر، فكانت هذه القمم عبرة لمن يعتبر، إذ يقول:

قِمَمُ الأَوراسِ كَمْ ظَلَّتْ هُنَا تُرْسِلُ البَرْقَ شُواظًا وَشُرَر

تَقبِسُ الأَجيَالُ مِن أَيَاتِهِ وَفرٌ نُسَالِمُ تعد تَخْفي الخَبَر [12]

تعتبر "**الأوراس**" في كتابات الشعراء العرب عموما والجزائريين على وجه الخصوص، رمز لتمثيل الهوية الوطنية الجزائرية الشاوية، التي نبذت المستعمر، وطردت وحشيته، ورفضت الخضوع والخنوع.

ب–الثورة الجزائرية والاعتزاز بالوطنية:

شكلت الثورة الجزائرية مصدر إلهام لقريحة الشعراء، فهزت كيانهم ودغدغت وجدانهم، فتحركت الأقلام العربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص، في رسم مسار الثورة من مقاومة الأمير القادر إلى غاية الفاتح من نوفمبر، الذي قابل الانفجار الثوري المدوي الذي اتسع ليشمل العالم ، فكانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس بثورات تحررية مست العالم أجمع، فها هو الشاعر "**الأخضر فلوس**" في قصيدة "**وتجئ واثقة الخطى**" يعرب لنا عن تاريخ الجزائر الذي ارتبط بالهوية الوطنية التي حافظت على اللغة، والثقافة العربية الإسلامية، ورفضت الخنوع والخضوع بإرساء معالم الكرامة والحق، إذ يقول:

لتَرَى الأَمِير يَقودُ مَوكِبَ أُمَةٍ يَحدُوا الفَيَالِق والقَصَائِد عَسكَرَا

...

وَمَضَت سُنُون ثَورَةٍ فِي ثَورَةٍ تَهفُوا بَعِيدًا لِلصَبَاحِ.. تَحَرَرَا..

وَيُطِلُ مِن وَجَعِ السِنِينِ وَحُزنِهَا شَعبٌ تَأَنَقَ لِلجِهَادِ.. وَكَبَرَا

...

وَتفَجَرَت أَرضُ الجَزائِر ثَورَة فَاضَ دَمُ الموارِ فِيها أَنهُرًا [13]

يترجم الشاعر في هذه الأبيات التزامه بالقضية الوطنية المتمثلة في الثورة الجزائرية، ويجسد سنين المعاناة، ورحلة الدفاع والذود عن الفضاء المكاني للوطن، ورفض الاستعمار الفرنسي الذي سعى لتدمير هوية الثقافة العربية والديانة الإسلامية ومحوهما، وهنا يتجلى الصراع والتصادم بين الأنا والآخر حول السيطرة وشغل الفضاء المركزي في مقابل الهامشي، إذ تعامل الثوار والمجاهدون مع الاستعمار بالندية، وجابهوه بكل الوسائل لتحقيق الاستقلال الذي حصل في الأخير من خلال تجسيد فكرة "**ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة**".

ج– التزام الشاعر بالقومية العربية :

التزم الشعراء بلافتة« الهوية المشتركة بين أبناء هذه الأمة، فضلا عن الداعمة الأخرى والمتمثلة بالتاريخ المشترك بين هؤلاء الناس، ولعل هذا الذي أوجد الربط في أذهاننا بين دلالة الأمة العربية والقومية»[14]التي تنضوي تحت لغة واحدة ودين مشترك، ونجد الشاعر "**الأخضر فلوس**" في قصيدة "**رحيل في الجراح**" يُضَمن عدة رموز وأماكن وشخصيات عربية تاريخية –تدخل في خضم الهوية القومية– ربطها بحرف النداء "يا"، إذ يقول:

يَا طَارِقِ العُشبُ المطَرَّزُ بالضُحى أَينَ الهَوى.. والفَتحُ.. والفُرسَانُ؟
يا ابنَ الوَليد حَوافِرُ الخَيلِ ارتَوتْ بِدَمِ الإِخَاءِ.. وذُبِحَت أَلحَانُ
كُسِرَت مَنَارَات الزَمَانِ فَمَا رَأَتْ فِي القُدسِ مَيتًا مَالَهُ أَكفَانُ [15]

استدعى الشاعر في هذه القصيدة الشخصيات التاريخية التي قامت بالفتوحات في البلدان العربية، فإحساسه الداخلي بالعجز جعله ينتهج تقنية القناع لمناداة الشخصيات العربية الاسلامية البطولية لإنقاذ الأوطان وتحريرها، وفي ذات السياق يبوح الشاعر "**علي ملاحي**" داخليا، بقوله:

عَفْوًا صَلاحُ الدِينِ كَانَ اسمِي.. وَهَارُونُ الرَشِيد [16]

يتأسف الشاعر على حال الوطن والواقع القابع فيه، هذه الحقيقة المرة التي تكتنف الوطن المصلوب من طرف رجال السياسة والطبقة الحاكمة.

كما ينحو الشاعر "**عثمان لوصيف**" نحوهما ليعرج على قضية فلسطين والأمل يكتنفه بأن تشرق شمس الحرية فيها، فتتطهر الأرض من النفايات البشرية والعسكرية الخبيثة الظالمة، فيقول:

يَا سُيُوفَ اللَيلِ لُوحِي
وَأَشِعِي..
مَزِقِي لَيلَ الحِدَادِ
بَدِدِي سُحبَ السَوادِ
...
وَلتُرَفْرِف فِي فَلَسطِين البَيارِق [17]

يبتغي الشاعر في هذه الأسطر تحقيق استقلال في فلسطين شبيها بالذي نالته الجزائر، ذلك أن التزامه بهموم فلسطين أعرب عن هويته العربية الإسلامية وانتمائه القومي لها.

استحضر الشاعر "**الأخضر فلوس**" الشعراء الرومانسيين ومن بينهم "**السياب**"، وتجلى في قصيدة "**صفحة ضائعة من سفر أيوب**" إذ انصهر مع الألم الذي عاشه سيدنا "**أيوب**" و"**بدر شاكر السياب**"، إذ يقول:

أَيُوبُ مُنطَرِحٌ أَمَام البَابِ يَسْفَحُهُ الحَنِين:
يَارَبُّ قَد ذَوَتِ الشِفَاهُ
"إِنِي أُرِيدُ أن أَمُوتَ".. يَغْسِلُنِي السُكُون
فَلَقَد تَعِبْتُ وَمَا أَنْتِ (أُمِي) وَلَا هَمَسَتْ
"وَفِيقَةُ" فِي الظَّلَامِ لتَحمِلَ
الطَيرَ المعَالِق بين أنيَابِ الثَوَانِي.. والشُجُونِ [18]

تتجلى في هذه الأسطر عذابات الذات الغارقة في بحر الألم، فجعلها تطفئ شجنها بشجن أقوى باستحضار ألم النبي "**أيوب**" عليه السلام، و"**السياب**" باستعراض مناداته ووجعه لحبيبته "**وفيقة**"، ولجوء الشاعر لهذا الاستدعاء أعرب عن انتمائه الشعري العربي، والهوية العربية القومية والدينية في الآن ذاته.

1-4- استلهام التراث:

يعتبر التراث من المصادر المهمة التي يستقي منها الشعراء أعمالهم الإبداعية بانتهاج تقنية القناع، وتوظيف شخصيات تراثية هي من صميم الثقافة العربية، من أمثال "**تأبط شرا**" و"**الحطيئة**" و"**المتنبي**" و"**المعري**"، وتوظيف الشعراء له أغراض تجاوزية للواقع والقلق فيه وعدم الرضى به، فحاول "**الأخضر فلوس**" و"**عثمان لوصيف**" أن يحاكيا التجاوز والخروج عن السلطة الذي طبقه الشعراء قبلهما، فهما يعيدان لنا الحادثة لتؤدي أغراضها داخل متن النص الشعري.

حاول "**عثمان لوصيف**" في قصيدة "**سليل الصعاليك**" حاول أن يحاكي الصعاليك في تمردهم على السلطة، فيقول:

لَسْتَ مِنِي إِذَا لَمَ تَخُوضَ مَعَ الشَنفَرَى وَتَأَبَطَ شَرَا
وَلَمَ تَتَسَربَلْ عِجَاجَا وَجَمْرًا [19]

أراد الشاعر هنا أن يخوض تجارب "**الشَنفَرَى**" و"**تأبط شرا**"؛ فهو يستحضر بطولاتهم كي تكون سندا يتمرد من خلاله على السلطة التي أهملته، وبالضبط وزارة الثقافة إذ لم تحتضنه وبددت

حكمته التي يمتلكها، جعلته يستعين بشخصيات شعرية عربية تفصح عن تجلي الهوية العربية. كما تناص مع نصوص "**امرئ القيس**"، و"**الشَنفَرَى**"، و"**نزار قباني**"، و"**سعدي يوسف**"، و"**مالك بن الريب**". وهنا تأكيد على تشبثه بالثقافة القومية العربية، ومنه تصريح غير مباشر بانتمائه الروحي.

يستحضر الشاعر "**الأخضر فلوس**" قصة حيْزِيَّة في قصيدة "**حَيْزِيَّة تنتظر العشاق**"، إذ يقول:

وَجَاءَتْ..
مِثلَ طَيْرٍ أَخْضَرِ الرِيشَاتِ "حَيْزِيَّة"
بِقَامَةِ نَخْلَةٍ فَرعَاء..
بِعَينَيْهَا يُغَرِدُ جَدْوَلٌ صَافٍ
كَأَنْوَارٍ سَمَاوِيَّة..[20]

يبحر الشاعر في وصفه "**حيزية**" جولييت الجزائر ذات الحسن والجمال التي أسرت محبها سعيد، حيث تعتبر أشهر قصة حب في تاريخ الجزائر، فحيزية أضحت هوية وطنية تراثية ارتبطت بالحب العذري العفيف مع سعيد في نهاية درامية وثقها "**أحمد بن قيطون**" في قصيدته الشعبية، وتتشابه قصتهما مع أسطورة عشق "**قيس**" و"**ليلى**"، وبالرغم من تضارب الروايات في سرد هذه القصة ومجرياتها، إلا أنها ألهمت أقلام الأدباء، وغناها كبار المطربين، وتحولت من قصة وطنية إلى قصة عالمية خلدها التاريخ.

د– الهوية الدينية (Religious identity):

إن الحس الصوفي باد عند شعراء النص الثمانيني، إذ أبان عن تشبعهم وانتمائهم لقيم وتعاليم الإسلام، فأعرب عن هويتهم الدينية، فها هو "**علي ملاحي**" في ديوانه "**أشواق مزمنة**"، يقول:

وَفِي سُفُنِ الحُلْم حِلّ لِكي يَحْتَوِينِي
وَلَا حَولَ إِلَا لِرَبِّ العِبَادِ
سَنَسْجُدُ لِله،، ثُمَّ البِلَاد،،
سَنَسْجُدُ لِله،، ثُمَّ البِلَاد،،[21]

يكرر الشاعر في هذه الأسطر الشعرية العبارة الآتية "سَنَسْجُدُ لِله،، ثُمَّ البِلَاد ،،" ليعرب لنا عن ثقافته، وهويته الدينية المتجلية في قوة الاتصال القائم بين العبد وربه، فكلما ضاقت به نفسه وأحس باغتراب ذاتي لجأ للسجود ليخرج من قلقه، فتقديس "الله" هو "الأول" و"الآخر" والأصل فوق كل اعتبار، ليتبعه السجود للوطن ،و هنا تتحدد قيمة الوطن وانصهاره فيه وحبه الشديد له.

أما "**الأخضر فلوس**" فيعانق بصوفيته المشهد الشعري بمسحة سردية وهاجس درامي، ليقف عند عديد المحطات والقصص الدينية بدءا من قصة "**الكهف**" و"**قابيل**" و"**هابيل**"، ومرورا باستدعاء شخصيات الأنبياء وصولا لمعانقة شعره النص القرآني بوعي ديني وهوية إسلامية صوفية وفق رؤية عميقة، إذ يقول في قصيدة "**قبلة للشمس الإيرانية**":

اليَومَ تَحبل بِالنِيرَان لَاهِثَةٌ لِتَحرِقَ اللَاتَ.. وَالعِزَى.. وَعِشْتَارَا
قَد بَرعَمَ الجُرحُ يَتلُو النَصرَ فَاتِحَةً يُسَبِحُ اللَّهُ.. امسَاءً.... وابْكَارَا
اللَّهُ أكبَرُ فِي الآفَاقِ طَائِرَةً قَدْ أَرسَلَ اللَّهُ لِلأَفيَالِ أَطيَارَا [22]

يوظف الشاعر في هذه الأبيات خصوصا، والقصيدة عموما بعض المعجزات للقوم الطغاة الكفار، فرؤيته الدينية واستحضاره هذه المعجزات أبان عن المقومات الإسلامية في مقابل الكفر، فـ« الدين من أهم مقومات الهوية إذ تذوب في الحروب والصراعات الهويات المتعددة وتصبح الهوية الدينية أكثر معنى»[23]، فكانت الهوية الإسلامية هي البارزة.

كما يبدع "**عثمان لوصيف**" في استحضاره النصوص والحوادث الدينية من قصص الأنبياء ومعجزاتهم، ومثال ذلك في قصيدة "**شريعة الحب**":

عَينَاكِ فِي غَسَقِ الدُجَى أَوْتَارُ وَمَعَارِجُ نَحْوَ السَمَاءِ وَنَارُ
...
صَلَيتُ بينَ يَديكِ فَانْتَشرَ الهَوَى وَالسِحْرُ والآيَاتُ وَالأَنوَارُ
وَعَصَرْتُ قَلبِي لِلرِمَالِ فَأزهَرَتْ بَالياسَمِين.. وَسالتِ الأَشعَارُ
مُتَصَوِفٌ لِلبرْقِ رَوحَانِيتِي بَحْرُ البُحورِ.. وَمِن دَمِي الأَمطَارُ
مُتجَاوِزٌ فِي اللَّهِ كُلَّ نُبُوَّةٍ حَقٌ.. وَكُلَ تَعَصُبٍ إِنكَارُ [24]

تتجلى في هذا المقطع الفلسفة الصوفية، وملامح الروح والحب "**الإلهي**" إلى درجة الفناء في المحبوب وانصهاره مع "**المرأة**"، فحب "**الإله**" هنا غذاء الشاعر ومصدر وجدانه في حضرته تنتش

الأفكار وتنتعش، فالحب هو التصوف والتصوف هو الحب، فجعل من الحب المعراج الموصل "لله".

هـ– الانتماء اللغوي (Linguistic affiliation):

وردت قصيدة " **أبجد هوز**" في ديوان "**أبجديات**" للشاعر "**عثمان لوصيف**"، وعنوان القصيدة هو ترتيب لحروف اللغة العربية وفق نظام " **أبجد هوز**" الذي يدل على الانتماء اللغوي للهوية العربية، مما يسمح بالتشارك والتواصل من خلال اللغة العربية، واستعمال الشاعر هذا الترتيب دليل مخاطبته الفئة المثقفة.

يهدي الشاعر "**الأخضر فلوس**" قصيدة "**أغنية للصيف والرحيل الأخير**" لأساتذة وطلاب معهد اللغة العربية بجامعة الجزائر، الذي كان في أحد الأيام طالبا لديهم، فيقول:

وَالأَدَبُ العَرَبِيُّ – الجَزَائِرُ بَاحَتْ بَأَسرَارِهَا لِلزَهرِ.. وَالثَمرِ

يَا مَعهَدَ الشَوقِ هَا قَد جِئْتُ مُكتَحِلًا لِلأصدِقَاء بِكُحلِ الشِعرِ.. بالصُوَرِ[25]

يعرب الشاعر في قصيدته عن هوية وطنية ،تجلت في طلب العلم في معهد الأدب العربي؛ « إذ تشكل اللغة العربية أهمية كبيرة في إثبات هوية الإنسان فهي تدل على ذاته وفكره»[26]، وتعتبر من الخصائص الجوهرية في ثقافة الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد في وجوده الاجتماعي ، تحت لافتة الهوية المشتركة بين أبناء الأمة العربية جمعاء.

ثانيا: تمثلات ظاهرة الاغتراب :

يعد مفهوم الاغتراب (Alienation) من أكثر المفاهيم التصاقا بالإنسان فهو « من طبيعته، بل يمكن القول إنه دافع من دوافعه الأساسية، يختلف من إنسان إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، ذلك لأنه يتلون بطبيعة صاحبه وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم وأعراف ومعارف»[27]، فاكتسى موضوع الاغتراب أهمية بالغة في الدراسات المعاصرة، وهذا مرده إلى الأوضاع التي تخص الجوانب النفسية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية والدينية التي عكسها الشعراء في نصوصهم الإبداعية، والتي تجلت في أشكال على النحو الآتي:

أ–اغتراب مكاني –خارج الوطن–:

يتمثل هذا النوع من الاغتراب في« ارتحال الذات عن مكانها الأول، الوطن المنشأ، والانتقال للعيش بمكان آخر فضاء جغرافي مغاير وسياق ثقافي مختلف تشعر معه بنوع من الاختلاف الهوياتي بل قد تحس الذات بنوع من القلق الكينوني والاضطراب الهوياتي ما يشعرها بنوع من الاغتراب الوجودي»[28]، مما يجعل الشاعر في إبداعه يبث قلقه الدائم، وعدم الرضى، والحنين للوطن، ورائحة تربته، ولعل ما يجسد هذا الاغتراب إحساس الشعراء باشتياقهم للوطن وتوظيفهم "**النيل**" في نصوصهم الشعرية؛ إذ يحس الشاعر "**الأخضر فلوس**" باغتراب مكاني جراء ابتعاده عن وطنه، فتحس الذات بوحشة في القاهرة، وبعدم الانتماء، فيتملكها التيه والتشظي، لتبوح في شعرها عن غربتها، وتمسكها بالهوية الوطنية، إذ يقول:

وَقَلْبِي يَحِنُّ لِأَرْضٍ،
–وَجِسمِي مُرْتَجِفٌ –مِثلَ غُصْنٍ تَكَسَرْ
لِيَشتَعِلَ الحُزنُ فِي "القَاهِرَةْ"[29]

وتقول أيضا:

..لَا النِيلُ يُشفِي تُرَابَ الأَرضِ مِنْ ظَمَأ
وَلَا أَبو الهَوْلَ– قَدْ أَقعَى عَلَى ذَنَبٍ[30]

يتجسد في هذه الأسطر الشعرية حضور الهوية في ظل غياب الوطن – في المهجر–، فالحنين للمكان الأول باد وصريح، وجسدت المداخل النصية الأتية: (يَحِنُّ– تَكَسَّرْ– يَشْتَعِلُ– الحُزْنُ– تُرَابَ– الأَرْضِ– ظَمَأ) إحساس الشاعر بالغربة، حتى بلغ به المطاف للظمأ وتعطشه لأرضه وتربة بلاده والحزن ينخره لدرجة الاشتعال في مصر، فلا جمال نهر "**النيل**" **ولا أثرية** "**أبو الهول**" كفيلة أن تنسيه أرضه وعشقه لها، ويشارك "**عثمان لوصيف**" الشاعر "**الأخضر فلوس**" في اغترابه خارج وطنه، وبالتحديد في مدينة "**النيل**"، ويتجلى في قوله :

أَتَسَلَّلُ وَفِي الهَاجِرَة
أَتَسَلَّلُ مُنْسَلِخًا
أَهٍ!.. مِنْ جَسَدِي المَيِّت [31]"

يحس أنه لا يتنفس خارج وطنه، وكأنه شبه ميت يحتاج لهواء الوطن ولرائحته الزكية، فغربته خارج وطنه بمثابة المعادل الموضوعي لإحساسه بالمصير الحتمي وهو الاختناق والموت.

ب- الاغتراب الاجتماعي (Social alienation):

يتحدد هذا النوع من الاغتراب باختصار شعور الذات أو« الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة، إضافة إلى ما يصحب ذلك من إحساس بالأم والحسرة، أو بالتشاؤم واليأس وما يرافقه أحيانا من سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة.. »[32]، أما أغلب شعراء الثمانينيات فموقفهم من المجتمع هو الشكوى والصراخ والألم نتيجة الأزمات والأحوال المتدهورة، ومن جهة أخرى ثورتهم على المجتمع وانعزالهم فيه، لغربة القراء في استيعاب واستبطان نصوصهم الشعرية التي تعرض علل الواقع دون الوصول لنحت وعي جديد عند المتلقين، ورؤية تجاوزية مستقبلية.

يعيش الشاعر "**عثمان لوصيف**" غربة اجتماعية حين عانى من الفقر فاضطر لبيع مكتبته، وفي قصيدة "**فاقة**" تأكيد لتكريم النساء وإهانة الشاعر، حيث فقد مكانته وقيمته، ويستدل بقول سعدي يوسف، حيث يقول:

وَأَنْتَ الهِلَالِيُّ أَفْقَرُ مِنْ ذَرَّةٍ
ذَرَّةُ الرَمْلِ بَدَلَتْ تِيهًا بِتِيه[33].

يتماهى الشاعر مع "**سعدي يوسف**" في استحضاره للسيرة الهلالية – **تغريبة بني هلال**- بحثا عن مكان آخر ومستقر لكن دون جدوى، فتمسي الذات إثر بحثها عن مكان آخر في حالة تيه مستدام[34]، فالشاعر استدعى هذه السيرة في شعره ليعبر عن تيهه- بدلت تيها بتيه-، إذ يحس الشاعر بالتلاشي جراء فقره واغترابه، وانشطار الذات داخل الجماعة وعدم تحقيقها للتوازن، و"**عثمان لوصيف**" في هذه الحادثة ارتحل من "**وهران**" إلى "**سيدي بلعباس**" يتتبع خطى "**يوسف**" الذي درس سبع سنوات في بلعباس، وعانى التشرد والفقر حتى وصل به الحال لدرجة الإفلاس، فوصف ذاته بالصعلوك الغريب والعقرب البدوي المتيم الذي قذفته الصحاري إلى البحر، فيحس باغتراب روحي ذاتي.

كما يتمثل الشاعر "**مشري بن خليفة**" نفسه وذاته بين أرصفة الفقر، ويجسد وعي المثقف الذي يعبر عن هموم شعبه، فانحاز صوته للطبقات الفقيرة وعبر بحق على كون الفن تمثيل للأدب، إذ يقول في قصيدة "**سيدتي.. هذا المساء**":

أَبْحَثُ عَنِي بَيْنَ أَرْصِفَةِ الفَقْرِ [35]

يعيش الشاعر في هذا السطر الشعري انشطارا ذاتيا داخل مجتمعه تجلى في رحلة الذات إلى غياهب الفقر، فراح يفتش عنها في الشوارع، وهنا تأكيد على الانقسام وفقدان الذات للانتماء والدفء، مما جعلها تغترب اجتماعيا لحالة الوطن، حيث يمثل الفقر أحد بواعث الإحساس بالاغتراب للكثير من الناس في مجتمعاتهم، وعادة ما يشعر الفقير أنه غريب داخل الوسط الاجتماعي، فهو لم يستطع مواكبة المجتمع وتحقيق الاكتفاء، لأن الفقير يحس دوما بالغربة. فالغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة، هذا الشعور بالفقدان والفراغ يعد آخرا خارج عن نطاق الأنا يكبح حريته وسعادته داخل المجتمع الذي غيب فيه أدنى حقوقه.

ج–الاغتراب الذاتي (Self–alienating):

يتجلى الاغتراب عن الذات هو عدم قدرة الفرد على التواصل مع عالمه الخارجي، الذي لا يستجيب لاحتياجات عالمه الداخلي إنّه الوعي المغترب، أو هو وعي يعيش غربته داخل واقعه الأصلي الذي يتدفق بالمشاعر الذاتية المتصدعة المتلونة بالانكسار، القلق، التشتت، والخـوف[36]، وهذا الوضع يعيشه –على الدوام– المثقف خاصّة في مجتمعاتنا العربية بوعيه المتناقض – غالبا– للواقع وخيبات أمله المتكررة فيه، فتتحول ذاته إلى ذات غريبة عن واقعها ومحيطها الأصلي، إذ يعيش الشعراء "**الأخضر فلوس**"، و"**علي ملاحي**"، و"**عثمان لوصيف**"، و"**مشري بن خليفة**" غربة داخلية، وأزمة هوية داخل الوطن الذي يحمل معنى الانتماء، فتنشطر الذات وتغترب داخل وطنها، فتبوح بوحدتها في هذا الوجود، فيتملكها الاحساس بالفناء، إذ يقول "**الأخضر فلوس**":

إِنَنِي فِي وِحْدَتِي مُنْذُ سِنِينَ
لَمْ يُمَزِّق مَسمَعِي غَيرَ السُكُونِ [37]

ويقول أيضا "**مشري بن خليفة**":

أَلْبَسُ دَمِي عَبَاءَةً
أَلْبَسُ مَوْتِي زَهْرَةً [38]

ويضيف "**علي ملاحي**":

دَوْمًا أُقَارِعُ وِحْدَتِي [39]

إن السمة المشتركة في هذه النماذج الشعرية هي أزمة الذات والوحدة المتبوعة بالألم والحزن، والشاعر يعيش في وطن غابت فيه الهوية، فأحس بالضياع واليأس حتى لجأ لاحتضان الوحدة ومعانقة السكون حتى ينخره، كما يفصح "**عثمان لوصيف**" عن الاغتراب والتيهان الذي يكابده في وطنه، ويمني ذاته أن تعيش الحرية والراحة النفسية، إذ يقول :

يَا لَيْتَ لِي كَانَ فِيهِ وَطَنّ
فَأَعَيشُ طَلِيقًا
وَأَشْتَمُّ أَوَّلَ طِينٍ
وَأَوَّلَ دِينٍ[40]..

ويقول:

وَأَنَا الشَاعِرُ البَدَوِيُّ
سَكَبْتُ الرِمَالَ عَقِيقاً
وَخُضْتُ الصَحَارِي
...
فَارحَم فُؤَادِي المُمَزَق[41].

توضح هذه الأسطر معاناة الشاعر جراء ما حدث للوطن الذي فقد معالمه، فأصبح بالنسبة للشاعر قيدا يقف في وجه حريته ويعتقله في زنزانة الوحدة التي يكابدها، فالشاعر يحس باغتراب شعوري ذاتي في وطن فقد قيمته.

د–الاغتراب ثقافي (Self–alienating):

تكاد ظاهرة الاغتراب تكون القاسم المشترك بين الشعراء الجزائريين، وهذه الغربة التي أصبح الشاعر يحسها في عالم مليء بالألم والصخب، هي غربة مرتبطة بفلسفة خاصة في الحياة لها دواعيها الخاصة وببيئتها الطبيعية التي ولدت فيها، فاحتضنها الشعر وأصبحت ملازمة له، وما نريد توضيحه في هذا الصدد أن الغربة لم تتحدد فقط في البعد عن الوطن والحنين إليه، بل توجد غربة داخلية في وسط الأهل والوطن، عانى فيها الشاعر البؤس والوحدة والتناسي داخل وطنه، فأقصي المثقف وتم تهميشه وضاع ضمير الجماعة والأمة، حين أصبح الوطن لعبة بين أيدي رجال على الثقافة، إذ يقول "**علي ملاحي**" :

أَنَا شَاعِرٌ ضَرَبِي وَطَنِي بِالتَنَاسِي [42]

ويضيف فلوس أيضا:

بِاسْمِ "الثَقَافَةِ" تَاجَرُوا وَعَلَى اسْمِهَا فَوْقَ الجُسُورُ تُصَلَب الأَوطَانُ [43]

يعتبر المثقف لسان حال الأمة يدفع بالوطن للازدهار، لكنه قوبل هنا بالإقصاء والتهميش وإبعاده عن السلطة واعتباراتها، مما ولد لديه إحساس بالوحدة والتناسي، وأنه آخر وجوده من عدمه سواء في هذا الوطن، وحاله من حال عامة الناس.

هـ–الاغتراب الوجودي (Existential alienation):

يعد الاغتراب الوجودي أحد أنواع الاغتراب التي تؤثر على نفس الشاعر، وما يتعلق بالنواحي الوجودية خاصة ما تعلق بالحياة والموت، واحساس الانسان بالاستعباد والبحث الدؤوب عن الحرية[44]، ومصيره في هذا العالم، وفي قصيدة "**المنفى**" تأكيد لفكرة الاغتراب الوجودي الذي يعانيه الشاعر ويعايشه، حيث أفصح بذلك في قوله:

مَنْفِيٌّ أَنْتَ.. يُحَاصِرُكَ الرَمْلُ

وَيُزَاحِمُ مَضْجَعُكَ النَمْلُ

فِي سَبْخَةِ هَذِي البَلْدَةِ.. [45]

يعرب الشاعر في هذه الأسطر الشعرية عن التيهان الذي يعيشه داخل بلده، وما نعلمه أن الوطن هو الأمان، والاطمئنان، والراحة، والانتمـاء، لينعكس الموقف ويتحول هذا الوطـن لغربـة، فيعاني الشاعر اغترابا وجوديا في وطنه الجزائر، وهذا دليل على التهميش الذي يعانيه الشعراء في مرحلة الثمانينيات والتسعينيات، فوزارة الثقافة شجعت وجوها وغيبت أخرى كانت قد حفرت أسماءها بأحرف من ذهب، ومن بينها عثمان لوصيف الذي مثل ووصف الانكسار الذي سببه الشعر، ويتحسر على النحس الذي يزاوله ووجوده المرتبط بفلسفة الغيـاب داخل بلده، فهو يطرح استفهامات استنكارية لهذا الواقع المر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما يعكسه الاغتراب الداخلي في وجود ذات الشاعر ومعاناتها في وطنه، يقول:

خَلِّنِي.. خَلِّنِي هَذا اغْتِرَابِي

هَذِهِ شَهْوَتِي وَهَذَا عَذَابِي [46]

صرح الشاعر بالاغتراب الذي يعيشه، وأصر على المضي في وحدته واغترابه وعذابه، والبحث عن النهاية المحتمة لوجوده جراء الواقع المر الذي يكابده.

ثالثا–متنفس الاغتراب في الشعر الثمانيني:

الغاية من وراء هذا العنوان إبراز الفضاءات التي يلجأ إليها الشاعر كمتنفس للضياع والقلق والوحدة والحزن، والهروب من الواقع الاجتماعي والثقافي والوجودي، وقد ظهر في عدة صور نذكر منها:

عانى الشاعر "**عثمان لوصيف**" الوحدة والاغتراب الشعوري الروحي حين خانته حبيبته مع فتى مهووس، فكانت هذه الرؤية لفتاته بمثابة صدمة لقلبه المحب، فاغترب ولجأ للوحدة والانعزال بداخل الغرفة واعتنق البكاء وجعله الرفيق الذي يخفف عنه وجعه، حيث سالت الدموع كوديان جارفة لا تفقه معنى الجفاف، ويئس إثر هذه الواقعة التي جعلته يبقى وحيدا في روضة البيت متكئا على صخرة وحيد بلا أنيس في ظلام الليل الحالك، إذ يقول :

وَلَمْ أَدْرِ كَيفَ نَزَلتُ وَحِيدًا إِلَىَ رَوْضَةِ البَيْتِ مُسْتَيْئِسَا

فَقَضَيْتُ لَيْلَي عَلَى صَخْرَةٍ وَلَا أُنْسٍ إِلَا ظَلَامُ المسَا! [47]

كما يلجأ بعض الشعراء لدحض الاغتراب للمرأة، فهي الأنيس من الوحدة، والغرق في تيه الذات، إذ يقول **الأخضر فلوس**:

بِعَيْنَيْهَا رَأَى خَيْلَا.. وَقَافِلَةً

مِنَ العُشَاقِ تَزْرَعُ قَلْبَهَا مَطَرًا.. [48]

يستحضر الشاعر هنا قصة "**حيزية**" وهيام "**سعيد**" بها لأنها السند والمأوى، والهوية والبيـت، والحب الدافئ الذي ينسيه انشطاره الداخلي، والمخرج من غرقه الذي يحسه ويعايشه.

كما يلجأ الكثير من الشعراء للخمرة والكأس، لتفريغ الآلام والآهات علها تكون متنفس للشاعر الذي يحس من خلالها بالسعادة، والراحة النفسية، والسكينة الروحية التي تنسيه الواقع المتعفن ووحدته التي يكابدها في وطنه المتشتت.

نجد بالمقابل أن الشعراء كلما ضاقت بهم السبل وتلونوا بطيف الغربة، يلجؤون إلى البحر كي يحتويهم ويبثوا له شجنهم وحزنهم، فها هو "الأخضر فلوس "يعانق البحر والحروف — الشعر– في قوله:

لَا شَيْءَ يَسْنُدُنَا غَيْرَ بَحْرٍ
تَهُومُ زُرْقَتُهُ فِي الأَبَدِ
لَا بِلَادَ لَنَا غَيْرَ هَذِهِ الحُرُوفُ [49]

الشاعر غارق تائه يعاني صراعا داخليا واغترابا ذاتيا حادا في القاهرة؛ إذ لم يجد سوى البحر ليتقاسم معه شوقه وحنينه ووحدته، وبالتغلغل جيدا في عمق هذه الأسطر نلحظ نسقين لمفردة البحر، الأول ظاهر يتجلى في البحر الحقيقي بأبعاده المكانية الجغرافية المادية، والثاني مضمر يتمظهر في البحر الشعري الذي يعبر من خلاله عن شجنه بإيقاع منصهر مع انفعالاته، ودليل ذلك أنه أرفق النسق الأول بزرقة البحر الجغرافي، والنسق الثاني بالحروف التي تشكل الشعر، وهنا نجد الشاعر يلجأ للقصيدة والبحر في الآن ذاته، لأن علاقة الشاعر وشعره بالبحر علاقة جدلية تكاملية.

الخاتمة:

كان الهدف الرئيس من هذا البحث هو تسليط الضوء على واحدة من أبرز الظواهر المتمثلة في الهوية والاغتراب، وتوصلت الدراسة في نهاية البحث لجملة من النتائج أهمها:

أبان الشعراء الجزائريون في نصوصهم الشعرية عن هويته وانتمائهم، الذي تراوح بين الانتماء للحرف العربي– اللغة العربية– الذي عد هوية عربية أصيلة، والانتماء للوطن من خلال توظيف لمجموعة العادات والتقاليـــد، والخصائص الثقافيـــة التي تتســـم بها كل مدينـــة من المدن الجزائريـــة، والانتماء الديني للعقيدة الإسلامية، فالشعراء أعربوا عن صوفيتهم وحبهم لله من خلال استحضار المعجزات والحوادث الدينية، والانتماء القومي المتجسد تارة في العروبة، وتارة في الدين، وتارة أخرى في المكان الذي يحدوه ثقافة واحدة مشتركة.

قام الشعراء باستحضار الشخصيات الأدبية العربية أمثال: المعري والمتنبي وتأبط شرا والشنفرى لدلالات ثقافية ترتبط بالانتماء وهوية الذات الشاعرة، فمحاكاة الشعراء دليل على تمردهم عن السلطة التي لم ولن تعرف قيمتهم في الأواسط الثقافية أين بددت حكمتهم وتجاهلت حرفهم الذهبي النقي وفكرهم الخصب وحسهم المرهف.

تجلت ظاهرة الاغتراب في وجوه عدة، تراوحت بين اغتراب خارج الوطن، وبالتحديد في مصر بالنيل، حيث حن الشعراء لوطنهم واشتاقوا لمعانقته، وتلمس تربته واستنشاق هوائه،

واغتراب داخل الوطن وسط الأهل خلف في فكرهم ووجدانهم وروحهم قلقا واضطرابا، في حين شكل الاغتراب الاجتماعي للشعراء قلقا وإحساسا بعدم الانتماء لفصيلة المجتمع، حينما عانوا الفقر والتشرد في وطنهم، إذ لم يستطيعوا تحقيق الاكتفاء، في حين أفصح الاغتراب الوجودي قلق الشعراء وانكسار حريتهم في هذا البلد، حيث لم يجدوا ذاتهم في المجتمع، فأحسوا بالغربة وعدم الاطمئنان.

يلجأ الشعراء في الكثير من الأحيان لمتنفس، يفرغون من خلاله شحناتهم السلبية واغترابهم وإحساسهم بالقلق والوحدة، فتجدهم تارة يعانقون المرأة، فيلبسونها ثوب الحب والقدسية لدرجة الانصهار في بواطنها الروحية، وتارة أخرى يتضرعون لله عزوجل فيعظمون حبهم له، ويرتمون مرة للفضاء كي يحتضنهم فيبثوا له شجنهم بين الصحراء والبحر والشعر..

هوامش:

* النص المختلف أو شعرية التجاوز والاختلاف، كل هذه التسميات تطلق على جيل من الشعراء الجزائريين في فترة الثمانينيات الذين أسسوا لنص شعري مختلف يتسم بالفرادة والتميز لغة وفكرا، رؤية ومضمونا، رمزا وتناصا وإيقاعا... هذا النص يمايز في كنهه وتكوينه للكتابة الشعرية التي كانت سائدة في مرحلة السبعينيات التي تلونت بالتوجه الأيديولوجي وموالاة التيار اليساري والغرق في الاشتراكية (شيوع مضامين التوجه الاشتراكي معجما وفكرا).

** مفهوم الهوية تكمن أهميتها في الحظ الوافر من الاهتمام والدراسة من طرف الباحثين في مختلف المجالات والتخصصات، والذي أفضى بالتعددية والتشظي والتبلور عبر مسارها التاريخي- جينا لوجيا الهوية- قديما وحديثا، ومن المفكرين الذين تناولوا مصطلح الهوية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر عند الفلاسفة الغرب، من بينهم: جوليا كريستيفا، جوديث بتلر ، ألكس ميوشيللي، تشارلز تايلور، مارتن هايدغر..

ومن بين الفلاسفة العرب نذكر: عبد الله العروي، محمد عبد الجابري، حسن حنفي..

[1] محمد فليح الجبوري وفوزية لعيوس الغازي: تمثلات الهوية في السرد الروائي، دار الرضوان للنشر والتوزيع (عمان)، ط1، 2020، ص23.

[2] عبد الحسين شعبان: جدل الهويات في العراق " الدولة والمواطنة" الدار العربية للعلوم ناشرون(بيروت)، ط1، 2010، ص23.

[3] ينظر: محمد فليح الجبوري وفوزية لعيوس الغازي: تمثلات الهوية في السرد الروائي، ص28.

[4]ينظر: ألكس ميوتشيللي: الهوية، تر: عبد الكبير معروفي، وزارة الثقافة–منشورات الزمن–، سلسلة ضفاف، (المغرب)، العدد 21، شتمبر،2016، ص89.

[5]عثمان لوصيف: أبجديات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر)، (د. ط)، (د.ت)، ص 65.

[6]أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية– الحقائق والمغالطات–، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع (الجزائر)، (د.ط)، 1996، ص23.

[7]سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، دار نينوى (دمشق)، 2016، ص29.

[8]عثمان لوصيف: أبجديات، ص19.

[9]المصدر نفسه، ص26.

[10]عثمان لوصيف: براءة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر)، (د. ط)، (د.ت)، ص53.

[11]عثمان لوصيف: الإرهاصات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر)، (د. ط)، (د.ت)، ص95.

[12]المصدر نفسه، ص33.

[13]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية(الجزائر)، (د.ط)، 2016، ص648.

[14]محمد فليح الجبوري وفوزية لعيوس الغازي: تمثلات الهوية في السرد الروائي، ص39.

[15]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص122–124.

[16]علي ملاحي: البحر يقرأ حالته، مطبوعات الجاحظية(الجزائر)، ط1، 2011، ص16.

[17]عثمان لوصيف: الإرهاصات، ص47.

[18]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص209–210.

[19]عثمان لوصيف: براءة، ص18.

[20]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص84.

[21]علي ملاحي: أشواق مزمنة، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، ط1، 1986، ص39.

[22]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص142–144.

[23]محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر، ط1، 1991، ص61.

[24]عثمان لوصيف: الإرهاصات، ص16.

[25]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، 273–279.

[26]محمد فليح الجبوري وفوزية لعيوس الغازي: تمثلات الهوية في السرد الروائي، ص196.

[27]عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945–1962)، منشورات جامعة باتنة، د.ط، د.ت، ص13.

[28]رضا عطية: الاغتراب في شعر سعدي يوسف –قراءة ثقافية–، الهيئة العامة المصرية للكتاب(القاهرة)، ط1، 2018، ص151.

[29]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص505-506.

[30]المصدر نفسه ص531.

[31]عثمان لوصيف: زنجبيل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع(الجزائر)، (د. ط)، (د.ت)، ص85.

[32]سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي- القرن الرابع هجري، دار الينابيع (دمشق)، ط1، 2000، ص151.

[33]عثمان لوصيف: أبجديات، ص74.

[34]ينظر: رضا عطية: الاغتراب في شعر سعدي يوسف -قراءة ثقافية-، ص194.

[35]مشري بن خليفة: ديوان سين، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين(الجزائر)، ط1، 2002، ص57.

[36]ينظر: عاطف السيد بهجات: انشطار الذات في ديوان تأبط منفي لعدنان الصائغ-جدل الرؤية وآليات التشكيل، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها(مصر)، عدد يوليو، 2010، ص04.

[37]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص47.

[38]مشري بن خليفة: ديوان سين، ص16.

[39]علي ملاحي: صفاء الأزمنة الخانقة، المؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر)، (د.ط)، 1989، ص71.

[40]عثمان لوصيف: زنجبيل، ص76.

[41]المصدر نفسه، ص79.

[42]علي ملاحي: العزف الغريب، مطبوعات الجاحظية(الجزائر)، ط1، 2011، ص08.

[43]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص121.

[44]ينظر: إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، ط1، 1978، ص60.

[45]عثمان لوصيف: نمش وهديل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع(الجزائر)، (د.ط)، (د.ت)، ص50.

[46]عثمان لوصيف: براءة، ص43.

[47]عثمان لوصيف: الإرهاصات، ص94.

[48]الأخضر فلوس: الأعمال غير الكاملة، ص87.

[49]المصدر نفسه، ص618.